

الترجمة الذاتية بين الاحتكام إلى الترجمة والاحتكام إلى الذات

جمال بوتشاشة

معهد الترجمة / جامعة الجزائر 2

ملخص

يهدف هذا المقال إلى إلقاء نظرة خاطفة على الترجمة الذاتية الأدبية، محاولا الإحاطة ببعض المسائل المتعلقة بها كالازدواجية اللغوية وإعادة الكتابة وإعادة الإبداع، كما يسعى أيضا إلى استكشاف مراحلها ومراتبها وأنماطها وأصنافها. ويتمثل الهدف الأسمى من وراء هذا كله في البحث عن الأسباب التي دفعت بعض المؤلفين إلى ترجمة أعمالهم بأنفسهم ليصبحوا مترجمين ذاتيين، وفيما إذا كانوا يحتكمون إلى الترجمة كفن أو كعلم له مقوماته أم كانوا يحتكمون إلى ذواتهم، مع كل ما قد يعتريهم من مشاعر وأحاسيس في أثناء العمل الترجمي.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الذاتية، الترجمة الذاتية التطبيعية، الترجمة الذاتية المنزاحة، الترجمة الذاتية المبدعة والمعيدة الإبداع، الترجمة الذاتية المتزامنة، الترجمة الذاتية المؤجلة، الازدواجية اللغوية، إعادة الكتابة، إعادة الإبداع، النص الافتراضي.

Abstract

The present paper aims at shedding light on self-translation, trying to encompass some of the issues akin to it such as bilingualism, rewriting and recreating, with a glance at its procedures, degrees, types and categories. The main purpose is to find out the reasons that had some writers resort to self-translation, and whether they took into consideration the 'rules' of translation proper or did they self-translate regardless of them.

Keywords : self-translation, auto-traduction naturalisante, auto-traduction décentrée, auto-traduction (re)créatrice, simultaneous auto-translation, delayed auto-translation, bilingualism, rewriting, recreating, texte hypothétique

الترجمة الذاتية (self-translation) فعل ترجمي طوعي مقصود يسعى فيه المؤلف إلى ترجمة عمله، في صورة أيّ جنس أدبي كان، من لغته، ولنقل 'اللغة الأم' أو 'اللغة الأصل' إلى لغة أخرى. فالترجمة الذاتية هي إذًا موضوع يندرج ضمن إطار الترجمة والنقل ويجب تمييزها عن 'الترجمة الذاتية' (autobiography) المعروفة في مجال التراجم والسّير. ولا مجال هنا لذكر مصطلحات أخرى مرادفة في اللغة العربية، اجتهد في وضعها بعض الباحثين، من شأنها التشويش على مصطلح 'الترجمة الذاتية' الذي يتّسم بالوضوح ويؤدي المعنى المراد منه. وتجدر الإشارة إلى أن بعض منظري الترجمة ممّن يكتبون باللغة الإنكليزية (Cordingley, 2013: 1-2) يفضلون استعمال مصطلح "self-translation" على مصطلح "auto-translation" لأن الأول، في عرّهم، أشمل ويستدعي حضور 'الذات' (self) بالنسبة إلى المترجم الذاتي وتفاعله في الترجمة وفي كتابة هذا النص الذي سيصبح 'أصلاً'؛ ولأن الثاني هو في الإنكليزية، باستعمال البادئة "auto"، يحيل أكثر إلى فكرة أنّ النص يشغل على 'القيادة الآلية'، يقوم بالترجمة آلياً وينقل نفسه إلى نظام لغوي آخر، بل قد يوحي بنقيض الفكرة أي إنكار 'الذات'. والغاية من هذا المقال محدودة المجال تتمثل في خوض البحث في مناحي الترجمة الذاتية الأدبية، أي الرواية والقصة والشعر، وفي تخصيص النظر في الترجمات الذاتية لبعض الروائيين والشعراء والقصاصين المعاصرين، ولا تروم غير ذلك.

وقد خاض تجربة الترجمة الذاتية كثير من الأدباء المعاصرين، منهم على سبيل المثال لا الحصر الروائي الأمريكي الجنسية ذو الأصل الروسي فلاديمير نابوكوف (Vladimir Nabokov) الذي ترجم أعماله من الروسية إلى الإنكليزية ثمّ من الإنكليزية إلى الروسية؛ والروائي التشيكي ميلان كوندير (Milan Kundera) الذي كتب رواياته بالتشيكية ثمّ نقلها إلى الفرنسية وأعاد ترجمتها إلى التشيكية مع إحداث تغييرات كثيرة عليها؛ والروائي الجزائري رشيد بوجدر الذي ترجم رواية له من الفرنسية إلى العربية ثمّ انتقل إلى الكتابة بدءاً بالعربية وبعدها يترجم ما يكتب إلى الفرنسية؛ والشاعر الهندي رابندرانات طاغور (Rabindranath Tagore) الذي يكتب ويترجم من البنغالية إلى الإنكليزية ومن الإنكليزية إلى البنغالية؛ والكاتب الإيرلندي صامويل بيكيت (Samuel Beckett) الذي كان يؤلف الرواية الواحدة أو المسرحية الواحدة بالفرنسية ثمّ يترجمها إلى الإنكليزية ويفعل العكس؛ والروائي والمسرحي الكيني نغوغيواثينغو (NgugiwaThiong'o) الذي كتب رواياته ردها من الزمن باللغة الإنكليزية ثمّ شرع في نقلها إلى لغته الأم الكيكويو (kikuyu) ومن ثمّ إعادة ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية؛ والروائي الجنوب أفريقي أندري برينك

(André Brink) الذي يكتب رواياته تارة بالإنكليزية ثمّ ينقلها إلى الأفريقانية أو يكتبها بالأفريقانية ثم ينقلها إلى الإنكليزية تارة أخرى.

والأسئلة الجديرة بالطرح هاهنا هي: ما الذي يدفع روائيا أو شاعرا أو قصّاصا ما إلى ترجمة أعماله بنفسه؟ أيعتبر كلّ المترجمين مقصّرين أم هو يمتلك أفضل مما يمتلكون من حيل الترجمة ومعارفها؟ ثمّ إنه إذ يترجم ما يترجم أحتكم إلى الترجمة كفنّ أو كعلم قائم بذاته له مدارسه ونظرياته ومقارباته وطرائقه أم يحتكم إلى ذاته ويلج بالقارئ إلى عوالم نفسية لا يسبر أغوارها إلّا هو؟

يرى ميخائيل أوستينوف (Oustinoff) (2014: 82) أنّ المترجم الذاتي (auto- traducteur) يجب أن يكون متشبّعا باللغتين والثقافتين معا، ليس هذا فقط بل إنّ ترجمته مشروطة بأن يصاحبها ازدواجية لغوية في الكتابة (d'écriture bilinguisme) أي أن يتمتّع المترجم الذاتي بالمهارة في الكتابة باللغتين اللتين يؤلّف بهما ويترجم منهما وإليهما. فإذا ما تحقّق هذا الشرط فلن يحدث عندئذٍ تضارب بين ثنائيات من قبيل: المؤلّف (writer) والمترجم (translator) أو النص المصدّر (source text) والنسخة (copy) أو النص الأصل (original text) والترجمة (translation) لأنه من العسير جدّا، كما تشير إلى ذلك تاسيوبولوس (Tassiopoulos 2011: 45)، تصنيف العمل المترجم ذاتيا إذ بين أيدينا عملان وعلينا تقدير أيّ العملين هو الأصل وأيّهما الترجمة أو اعتبارهما معا عمليّن أدبيين منفردين يتّسم كلاهما بالاستقلالية أحدهما عن الآخر. ومن الجدير التنويه هنا إلى أنّ منظري الترجمة لم يولوا الترجمة الذاتية، في بداية الأمر، الاهتمام الكافي اعتبارا منهم أنها أقرب إلى موضوع الازدواجية اللغوية (bilingualism)، دراسةً وتحليلا، منها إلى موضوع الترجمة البحت (translation proper) اعتقادا منهم أن المترجمين الذاتيين هم كُتّاب مهرة مضلعون في اللغات ويمكنهم، إذا شاءوا، اختيار الإبداع بأكثر من لغة (Grutman, 2001:19).

والترجمة الذاتية من منظور الشخص الذي يقوم بفعل الترجمة غمّطان (84: 2014 ; Oustinoff, 2001: 27). فهي إما أن تكون ترجمة بدلاّ (traduction allographe) بحيث يقوم مترجم ما بترجمة رواية مثلا ولكن يراجعها الروائي ويجيزها فتصبح ترجمة معتمّدة. وهي في الغالب الأعمّ تكون لصيقة بالنص الأصل وأمينّة إلى أبعد الحدود، وهي في تقدير منظري الترجمة ما يجب أن يُعتبَر 'الترجمة' الحقيقية بالفعل لأنها لم تكن على يد المؤلّف ومن ذا لا يمكن اعتبارها إبداعا جديدا؛ أو أن تكون ترجمة على يد المؤلّف ذاته

(traduction autoriale) بحيث يقوم الروائيّ بنقل روايته عن طريق الترجمة الذاتية، وهنا يمكن عدّ الترجمة عملاً جديداً وإبداعاً آخر لأنها تتبع، هي والأصل، من مشكاة واحدة هي المؤلف: فهي ترجمة وإعادة كتابة في الوقت ذاته.

وبالرجوع إلى الدراسة السوسولوجية الرائدة التي قام بها غروتمان (Grutman, 80-63: 2013) عن المترجمين الذاتيين ممّن نالوا جائزة نوبل للآداب، نجد أنّ هؤلاء ينقسمون إلى أربعة أصناف من منظور الازدواجية اللغوية. الصنف الأول يتمثل في ما يسمّيه (bilingual writers exogenous) وهم المؤلفون ذوو الازدواجية اللغوية خارجية المنشأ. والمقصود به هم أولئك الذين انتقلوا إلى الإبداع بلغة أخرى بتغييرهم البلد الذي نشأوا فيه بسبب ترحيل قسريّ أو تهجير أو هجرة مرغوبة أو غير ذلك. وخير من يمثّل هذا الصنف فلاديمير نابوكوف الذي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وانتقل من الكتابة بالروسية إلى الإنكليزية، وكذلك فعّل في الترجمة الذاتية. والصنف الثاني يندرج ضمن ما يسمّيه أيضاً (endogenous bilingual writers) وهم المؤلفون ذوو الازدواجية اللغوية داخلية المنشأ. والمراد منه هم أولئك الذين نشأوا في بيئة تمارس اللغتين كليهما بانسجام تام، إحداهما اللغة الأم والأخرى اللغة المفروضة أو الرسمية أو غير ذلك، ولم يغادروا أوطانهم. وعلى رأس هؤلاء الكيني نقوقي واتيנקو بلغته الأم الكيكويو والإنكليزية، ويقوم بالترجمة الذاتية منهما وإليهما. أمّا الصنف الثالث، وهو (symmetrical bilingual writers) أي المؤلفون ذوو الازدواجية اللغوية المتماثلة، فيعود على أولئك الأدباء الذين يكتبون بلغات متماثلة متناظرة في التمتّع بالحظوة والسلطة والانتشار الكبير ويعتمدون إلى الترجمة الذاتية منها وإليها، مثل صامويل بيكيت ونانسي هيوستن اللذين يزاوجان في التأليف والترجمة بين لغتين ذواتي منزلة عالمية هما الفرنسية والإنكليزية. وأضداد هؤلاء ينتمون إلى الصنف الرابع (asymmetrical bilingual writers) أي المؤلفون ذوو الازدواجية اللغوية اللامتماثلة من أشباه طاغور وبرينك. فاللغات التي يؤلفون بها واللغات التي يترجمون أعمالهم منها وإليها تختلف من حيث مراتبها، إذ هناك اللغات المغمورة واللغات الشائعة على وجه المعمورة. طاغور ألف بالبنغالية ومارس الترجمة الذاتية إلى الإنكليزية، وبرينك ألف بالأفريقية ومارس الترجمة الذاتية إلى الإنكليزية. هذان الاثنان، تبعاً لرأي غروتمان، ألفا بلغتين عدداً المتكلمين بهما كثير وتوزيعهما الجغرافي كبير، ومع ذلك فإنّ هيمنتها منعدمة وتأثيرهما الجيوسياسي لا يُذكر مقارنة بالفرنسية والإنكليزية اللتين هما لغتان عالميتان عن جدارة واستحقاق.

و مع هذا يؤكد أنطوان بيرمان (Berman 1995: 42) أن الترجمة الذاتية لأي عمل أدبي إذا ما بلغت الذروة في نقل النص الاصلي وفي محاكاته فإنها تصبح نصا آخر بكل مقوماته، نصا مستقلا بذاته، نصا أصليا جديدا (Un nouvel original). ولا أدل على ذلك من نيل بعض الروائيين جوائز أدبية عن أعمال لهم ترجموها ذاتيا، وقد تمّ اعتبارها أعمالا أصلية وليست مترجمة، وتمّ نقدها من الجانب الأدبي والفني وليس من الجانب الترجمي، على غرار الروائيين الكنديين دانيال غانيون (Daniel Gagnon) و نانسي هيوستن (Nancy Huston) اللذين يؤلفان بالفرنسية والإنكليزية ويترجمان أعمالهما إلى الفرنسية والإنكليزية (Pym, 2006: 9-10). وكان قبلهما بعقود من الزمن قد نال جائزة نوبل للآداب كل من طاغور سنة 1913 وبيكيت سنة 1969، وهذا عن مجموع أعمالهما الأصلية والمترجمة.

إنّ المؤلف/المترجم الذاتي أدري بالنص وعتباته، أعلم بمقاصده وخفياه، ولا يحتاج إلى قراءته قراءة متأنية أو أن يستنطق عباراته أو أن يتصوّر له بعدا ما. وإذا ما تزاوج هذا بمهارة الكتابة لديه باللغتين وسعى إلى ترجمة النص بإعادة كتابته بلغة أخرى (réécriture traduisante) فإنه حينذاك، كما يُلْمَح إلى ذلك أوستينوف (2014: 86) سيكون له كل الحقوق، ويجوز له ما لا يجوز لغيره ممن يترجمون أعمال غيرهم، حتى أن يكون غير أمين في ترجمته. وفي هذا كله تكون للمؤلف/المترجم الذاتي السلطة المطلقة في تغيير الأشياء، إذ إنه هنا بصدد إعادة الكتابة (rewriting) أي هو في إبداع جديد (recreating)، "مما يعني أن ما لا يجيزه مترجم لنفسه (إلا في الترجمات الاستلحاقية أو المشوّهة)، يجيزه المؤلف لنفسه، فيشدّد على ملمح هنا، ويخفف من حدّة ملمح آخر هناك" (جهاد، 2011: 163). وتأكيدا لهذه الفكرة، يذكر الروائي برينك أنه لا 'يترجم' أعماله بل يكتب الرواية الواحدة بلغتين، ولهذا السبب غالبا ما تختلف النسختان، بعضهما عن بعض، تارة بشكل صارخ وتارة بشكل خفي، لأن لكل لغة أشياء لا يُعبّر عنها إلّا بها، ولأن كل لغة من اللغتين اللتين يكتب بهما تدفعه في اتجاه مخالف للأخرى (De Roubaix, 2012: 11). وقد كان بيكيت يفعل هذا أيضا من قبل حيث إنه "عندما يترجم أحد أعماله، [يقوم] بتحويله إلى عمل غير مكتمل ويسلبه صفة "الأصل": فلا يحدث فقط أن تأتي بعض العناصر والفروق لتطعم النص الأصل، وإمّا قد يحدث أن تصير إحدى صيغ النص الأصل هي النص المنطلق في الترجمة... إلى درجة أن قراءتنا لبيكيت ستختلف بحسب انتمائنا لصنف أو آخر من أصناف القراء التالية: قراء لا يعرفون إلّا الفرنسية، وآخرين لا يعرفون إلّا الإنجليزية، وصنف ثالث يعرفهما كليهما. ومن البين أنّ الفائدة كلّ الفائدة هنا

ستؤول لمن يعرف اللغتين معا، لأنه وحده سيحظى بإمكانية أن يشهد ميلاد... 'النص الافتراضي' (texte hypothétique)، الذي يصدر عن النص وترجمته مأخوذين ككتابين" (جهاد، م.ن: 162-163). والحق أن المؤلف/المترجم الذاتي يمنح نفسه، كما يلح على ذلك كوردينغلي (2: 2013, Cordingley)، حرية التصرف لم يكن المترجم أعمال غيره ليحلم بها يوما، وهو بهذا يُخرج من النص الأصل 'نسخة' أخرى أو 'أصلا' جديدا؛ والحال أن الشيء الذي هو رهن النقاش ليس هو 'النص الأصل' أو 'الذات' التي أنتجته فقط، بل هو مفهوم 'الأصالة' في حد ذاته.

وفي الحديث عن طرائق بيكيت في الإبداع بلغات مختلفة وفي الترجمة الذاتية، يميّز غروتمان (2001: 19) بين منهجين مختلفين تماما يسلكهما هذا الروائي: فتارةً يعتمد إلى الترجمة الذاتية المتزامنة (simultaneous auto-translation) بحيث يشتغل على تأليف عمل ما بالفرنسية أو الإنكليزية وعلى ترجمته، وهو لم يكتمل بعد، إلى إحدى اللغتين في الوقت ذاته؛ وتارةً أخرى يعتمد إلى الترجمة الذاتية المؤجلة (delayed auto-translation) بحيث يترجم العمل بعد صدوره ونشره. وعلى أساس هذا كله يصنّف أوستينوف (2001: 29-34) الترجمة الذاتية إلى ثلاث مراتب متباينة: المرتبة الأولى يسمّيها الترجمة الذاتية التطبيعية (auto-traduction naturalisante) حيث يقوم المؤلف/المترجم الذاتي بإخضاع النص المعدّ للترجمة لمعايير اللغة المنقول إليها ومتطلبات أساليب التعبير فيها بدقّة متناهية، مع إبعاد كلّ تداخل من جانب اللغة المصدر؛ والمرتبة الثانية يسمّيها الترجمة الذاتية المُزاحة (auto-traduction décentrée) حيث يعتمد المؤلف/المترجم الذاتي إلى الإبقاء على الملامح الأسلوبية والعناصر الثقافية التي في النص المصدر، على اعتبار الترجمة ههنا مجالا للتفتح على الآخر وللتحاور والتمازج والانزياح من المركزية الواحدة؛ والمرتبة الثالثة يسمّيها الترجمة الذاتية المبدعة والمعيدة الإبداع (auto-traduction (re)créatrice)) حيث يكون للمؤلف/المترجم الذاتي الحرية، كلّ الحرية، في إحداث تغييرات كبيرة في النص المترجم، مقارنَةً بالنص الأصل، إذ يتعلّق الأمر هنا بإعادة إبداع أو إبداع جديد، حتّى إنّ القارئ ليخالجه الشعور بأنه أمام عمليْن اثْنين. والحال أننا، إذا ما ألقينا نظرة فاحصة على المراتب الثلاث سالفه الذكر، حيال مقاربات ترجمية معروفة هي التوطين والتغريب والإبداع.

وقد أظهرت دراسات قام بها بعض الباحثين (Berman, 1995; Fitch, 1988; Tassiopoulos, 2001; 2013; Grutman, 2001; 2006; Pym, 2011; 2012; de Roubaix, 2013; Cordingley, 2011) أجروا فيها مقارنات بين

أعمال أدبية وترجماتھا التي خاضھا المؤلفون أنفسهم، أنَّ هؤلاء المؤلفين/المترجمين الذاتيين قد أطلقوا العنان لأقلامهم فبدلوا وغيروا ما شاءوا تماشيا مع ما يقتضي قارئ النسخة المترجمة أو تحقيقا لمأرب ما ابتغاء الحرية أو المقرئية، وما كانوا يرجعون إلى الترجمة على اعتبار أنها فن أو علم له مقوماته، بل كانوا يحتكمون إلى ذواتهم، وهم على وعي ودراية بأنه يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من المترجمين أعمال غيرهم، فكانوا يسمحون لأنفسهم بالتغيير والتبديل والنأي عن النص المصدر كيفما أرادوا، وعيًا منهم بأن القارئ سيتلقى العمل بالقبول الحسن، وهو مدرِّك بأن بين يديه عملا جديدا حتّى وإن كان مترجما، لا لشيء إلا لأنه من اجترح المؤلف نفسه. ومع ذلك فإن هنالك خطرا محققا بالمؤلفين/المترجمين الذاتيين (Grutman, 2013 : 75)، وبخاصة منهم أولئك الذين ينتقلون من لغات أقل هيمنة وانتشارا إلى لغات أكثر هيمنة وانتشارا، إذ إنهم برؤيتهم أعمالهم المترجمة ذاتيا تُمنح منزلة الإبداع الجديد، أي تغدو نصا أصلا ثانيا، فإن العمل الأصلي قد يتعرض للتهميش أو الإقصاء أو حتّى الطمس. وإن كثيرا من الباحثين في مجال الترجمة، من حيث التنظير والتأصيل، ليدعون لأن تكون الترجمات الذاتية نافذة على تعليمية الترجمة translation didactics بحيث توضع الأعمال الأصلية والأعمال المترجمة بين أيدي الطلاب الراغبين في تعلّم أصول الترجمة ويطلب منهم النظر في العملين نظرة ترجمة فاحصة، ومن ثمّ استشفاف الطرائق والاستراتيجيات التي اتّبعتها المؤلف في ترجمة أعماله، وبذلك ينال المؤلف/المترجم الذاتي الجزاءين: جزاء الإبداع الأدبي وجزاء الترجمة.

المراجع:

- 1- جهاد، كاظم (2011). حصة الغريب - شعرية الترجمة وترجمة الشعر عند العرب. ترجمة محمد آيت حنا. بيروت: منشورات الجمل.
- 2- Berman, A. (1995). *Pour une critique des traductions : John Donne*. Paris: Gallimard.
- 3- Cordingley, A. (Ed.) (2013). *Self-Translation: Brokering Originality in Hybrid Culture*. London: Bloomsbury.
- 4- Fitch, Brian T. (1988). *Becket and Babel: An Investigation into the Status of the Bilingual work*. Toronto: University of Toronto Press.
- 5- Grutman, R. (2001). 'Auto-translation'. In Baker, M. (ed.), *Routledge Encyclopedia of Translation Studies* (pp. 17-20). London: Routledge.
- 6- Grutman, R. (2013). 'A sociological glance at self-translation and self-translators'. In Cordingley, A. (Ed.), *Self-Translation: Brokering Originality in Hybrid Culture* (pp. 63-80). London: Bloomsbury.
- 7- Oustinoff, M. (2001). *Bilinguisme d'écriture et auto-traduction*. Paris :L'Harmattan.
- 8- Oustinoff, M. (2014). *La traduction*. Beyrouth: Point Delta.
- 9- Pym, A (2006). *Sociocultural Aspects of Translating and Interpreting*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Co.
- 10- Roubaix de, L. (2012). 'Where boundaries blur: André Brink as writer, bilingual writer, translator and self-translator'. In Herrero, I. and Klaiman, T. (ed.). *Versatility in Translation Studies: Selected Papers of the CETRA Research Seminar in Translation Studies 2011*. <http://www.kuleuven.be/cetra/papers/papers.html>
- 11- Tassiopoulos, E. (2011). 'Literary self-translation, exile and dialogism: the multilingual works of Vassilis Alexakis'. In Pym, A. (ed.), *Translation Research Projects 3*, Tarragona: Intercultural Studies Group.